المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 22-11-2005 العـــدد : 13665
الصفحـات : 10 المسلسل : 49

ملف صحفي

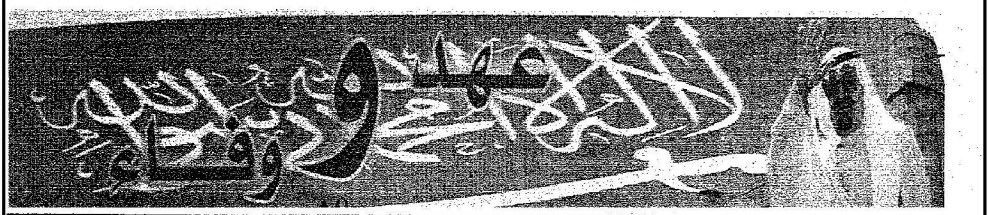

(سينما الأطفال) أنهت عقوداً من تعاملنا السلبي مع السينما..

تطورات فكرية، اجتماعية اقتصادية قادت السعوديين إلى القبول الهادئ بفكرة السينما

رجا ساير المطيري

■ أقف الآن عند الإشارة المرورية، غارقاً في زحمة السيارات.. سياراتٌ تتناثر عن يميني ومن شمالي، أمامي وخلفي، وربما فوقي! لم يبددها سوى وميض شعاع ضوئي جاء من بعيد، من لوحة إعلانية ضخمة -في الزاوية اليمنى- نقشت عليها عبارة تقول (أمانة مدينة الرياض تقدم سينما الأطفال في مهرجان عيد الفطر المبارك).. تجاوزت الإشارة، لأبدأ حينها جولة في بقية شوارع مدينة الرياض صاحبتني فيها تلك اللوحة، ذاتها، التي رأيتها قبل قليل.. والتي ملأت الطرق والميادين الرئيسية.. كان الوقت قبيل انتهاء شهر رمضان.. وكل ما حولي يحمل فكرة واحدة (سينما الأطفال).. ولما جاء العيد ذهب الأطفال إلى «صالة» السينما لمشاهدة الأفلام الكرتونية، وليرتشفوا منها رحيق سعادة خالصة، بريئة، كانوا يحلمون بمثلها منذ سنوات طويلة.. الآن تحقق لهم ما يريدون.. لكن يبقى هناك شيء خطير ورائع في الآن نفسه، يتمثل في ذلك الهدوء الذي واجه بها المجتمع هذه الخطوة، حيث لم نر ولم نشاهد تلك الاحتجاجات التي اعتدنا رؤيتها عند كل طارئ جديد.. ولم يعترض أحد على هذا الحضور الواضح والصريح للسينما.. فما الذي تغير في العهد السعودي الجديد؟ وكيف تأتى للسعوديين تقبل هذه الفكرة بمثل هذا الهدوء؟

قبل عشر سنوات من الآن، في العام ١٤١٥، لم يكن لأحد أن يجرؤ على طرح موضوع يتناول فكرة «السينما» بطريقة جادة رصينة، وليس سبب الإحجام الرئيسي خوفاً وخشية، أو لأنها تمثل تابوهاً محرماً، إنما لأن الأغلبية آنذاك كانوا لا ينظرون بجدية إلى السينما ذاتها، ولم يكن هناك من يستشعر خطورتها وأهميتها في تشكيل وصياغة الأفكار والتصورات، وبمعنى آخر كان السعوديون على الأغلب -المتابعون لها والرافضون- ينظرون للسينما نظرتهم للشيء الكمالي الثانوي غير المهم، الذي يعتبر الحديث عنه من اللغو الذي لا طائل منه.. ولأن النظرة لها دونية إلى هذا الحد، فإنه استقر في لاوعي الفرد السعودي عدم الاكتراث بها، ومقابلتها دائماً بلا مبالاة شديدة، زاد من حدتها بعض الآراء الدينية التي حكمت على السينما بالحرمة، منطلقة من مشاهدتها لنوع واحد من السينما، هو النوع العربي الساقط الذي كان رائجاً منذ بدء علاقتنا مع السينما، عام ١٩٧٥، وحتى ذلك الحين.. إذن فقد حسم السعوديون أمرهم وحرموا «فكرة» السينما، غير المهمة، وألقوا بها في غياهب اللاوعي، وتركوها جامدة هناك، حتى إذا ما جاء ذكر السينما -ولو عَرَضاً- استحضروا موقفهم وحكمهم الحاد وألقوا به أمام كل داع لها ومؤمن، وذلك في استمرار لما يقومون به عادة في سبيل وأد وإجهاض الفكرة الجديدة وهي لا تزال بعدُ في مهدها، وذلك قبل أن ترقى إلى مستوى الجدية المطلوب.. وكلما أدركنا حدة هذا الموقف السابق وصرامته أصابتنا الدهشة من مرور الفكرة الهادئ على السعوديين أنفسهم في عيد الفطر الماضي، وبشكل يعيدنا إلى التساؤل الأول: ما الذي تغير؟

والإجابة على سؤال كهذا تحتاج إلى جهد جماعي يقوم به المفكرون وعلماء النفس والاجتماع والمتخصصون في نمو المجتمعات وتطورها، ولا سبيل إلى طرقه في مقالة أو تقرير صحفي، لكن حسبنا الإشارة إليه وطرح السؤال محاولين بذلك اقتناص طرف أي خيط يمكن أن يؤدي للإجابة الكبيرة الشاملة والمفسرة لهذا التغير.. إذن فصالات السينما كانت موجودة فعلاً في مدينة الرياض، وكذلك في المدن الأخرى كجدة والدمام، وغيرها.. حينذاك لم تنشأ احتجاجات عليها ولم يبد أن لدينا مشكلة معها.. المشكلة جاءت فيما بعد حين انتشر الفيديو، وزالت مع انتشاره إمكانية الرقابة على الأفلام، وانتشرت بفعل ذلك الأفلام الهابطة والرخيصة، وهو ما أوجد الرفض الطبيعي والمنطقي والمفهوم من الكبار تجاه السينما.. هذا الرفض، ومع تقادم الوقت، أصبح بمثابة عقيدة ثابتة لا ينبغي التزحزح عنها، وأصبحت السينما مكروهة ومحتقرة من الجميع، وكل ذلك بسبب نموذج واحد سيئ، في حكم -وإن كان مفهوماً- إلا أنه يبدو

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 22-11-2005 العـــدد : 13665
الصفحـات : 10 المسلسل : 49

ظالماً ومجحفاً بشكل كبير.. وظل الأمر على ما هو عليه.. حتى العام ١٤١٢ هـ حين جاء نظام المطبوعات الجديد ليرتب سوق الأفلام من الداخل، وليفرض رقابة صارمة عليها بحيث لم يعد في السوق سوى الأفلام الجميلة الهادفة، والأهم النظيفة الخالية من كل ما هو خادش وفاسد.. وقد عاش السعوديون لسنوات يتابعون هذه الأفلام بصمت حتى جاءت الإنترنت لتفتح مجالاً واسعاً لتبادل الخبرات والأفكار.. ومن ثم غرس فكرة جديدة في أذهانهم مفادها أن السينما ليست ذلك البعبع البشع الذي كانوا يخشونه، بل على العكس وجدوها نافذة فكرية هامة، تهذب النفس وتوسع المدارك، وتحوي كثيراً من قيم الجمال التي تحويها أنواع أخرى من الفنون كالشعر والرواية.. وهذه القناعة الجديدة ساهمت في خلخلة الموقف الرافض القديم ووضعته -بهدوء- في منصة المراجعة والمحاسبة، وقد رافق هذه المراجعة، عوامل أخرى، منها الانفتاح الذي يشهده المجتمع السعودي، وتأثير الوضع الاقتصادي، وكذلك تأثير الإنترنت، وكل هذه العوامل مجتمعة غيرت من طبيعة السعوديين، وجعلتهم -بالتالي- يقبلون فكرة السينما بهدوء.. الآن انتهى عرض (سينما الأطفال).. وسعد أبناؤنا بحضور هذه الأفلام، وهي سعادة امتدت لتشمل جميع من يؤمن بالسينما، لأنهم رأوا في هذه الخطوة بداية حقيقية للتعامل الجاد مع السينما.. كما أنها خطوة تشي بربيع قادم ودائم للفن والثقافة في السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله الذي دائماً ما يدعو إلى الانفتاح الواعي الهادئ والمدروس والملائم لنمط تفكير المجتمع وعاداته وتقاليده.